من تراب الطريق (٤٢٤) إسرائيل تعلن الحرب !(*)

فى الأسابيع الأخيرة ، تتابعت على التوالى ، فى إلحاح واستفزاز ، مجاميع من الاعتداءات الإسرائيلية التى لا يمكن فى الأعراف وقواعد القانون الدولى إلاَّ أن تكون بمثابة إعلان الحرب على الدول العربية ـ والإسلامية أيضا ، فضلا عن الشتات الفلسطينى بطبيعة الحال !

حملت الأنباء منذ أوائل مارس أن إسرائيل «تمطعت» واتخذت إجراءات إسرائيلية وصفتها الصحف ووكالات الأنباء بأنها إجرامية ، أعلنت فيها ضم الحرم الإبراهيمى لإبراهيم الخليل عليه السلام ، ومسجد الصحابى الجليل بلال بن رباح ، مؤذن الرسول ﷺ ، إلى قائمة التراث اليهودى ، فيما احتجت عليه الدول العربية والإسلامية احتجاجات لم تجاوز الصخب والكلام ، فانعقدت البرلمانات وأصدرت بيانات الشجب وانفضت ، وزاد رئيس مجلس الشعب المصرى من تحت القبة أن ما تفعله إسرائيل اعتداء على الديانة الإسلامية ويمهد إلى حرب دينية ، وبدلًا من أن تتراجع إسرائيل ، ولو ظاهريا ، انطلق سفيرها فى مصر ، وشخصيات رسمية إسرائيلية ، فأقام احتفالًا مخمورًا فى معبد ابن ميمون الطبيب الفيلسوف العربى الذى عاش فى مصر ، وأصوله أندلسية ، وضم هذا الاحتفال المخمور ـ فى قلب القاهرة ـ نحو (١٥٠) يهوديا من الحاخامات والشخصيات الرسمية الإسرائيلية يتقدمهم السفير

(*) المال ٢٤/ ٣/ ٢٠١٠ .

الإسرائيلى ، تبادلوا فيه الأنخاب بداخل ما اعتبروه أثرًا إسرائيليا ـ أنفقت مصر الملايين لترميمه باعتباره أثرا مصريا ، وفى ذات الوقت الذى أقيم فيه الاحتفال المخمور الذى لم تملك السلطات المصرية إزاءه إلا أن تعلن إلغاء الاحتفال المصرى الرسمى الذى كان مزمعا إقامته ، بينما كانت الغطرسة الإسرائيلية تواصل انتهاكاتها للمسجد الأقصى فى القدس العربية ، مع تواصل إقامة المستوطنات فى القدس وفى الضفة الغربية على قدم وساق ، دون أن تبالى بأحد حتى بالاعتراضات الأمريكية التى تركت القرارات والوعود التى كانت قد أطلقت بلسان الرئيس أوباما فى القاهرة ، واستبدلت بها التصريحات التى أخذت بدورها تتقلص وتطلق على استحياء ، ولا تبالى بها إسرائيل ، مثلما لا تبالى بإعاقة طقوس الصلوات ومنع وحصار المصلين وانتهاك حرمة المسجد الأقصى الذى يقتحم الجيش الإسرائيلى حرمه ، وجعلت تتوسع فى أعمال الحفر تحت المسجد شاملة الأساسات بما يهدد بانهيار المسجد الذى لا مراء فى أنه هدف إسرائيل من أعمال الحفر الموسعة التى تجريها تحت وفى أساسات المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ولا يملك مقرر لجنة القدس فى المجلس التشريعى الفلسطينى ـ إزاء السكوت العربى والإسلامى ، والتشرذم الفلسطينى ، والسجال المشتعل بين فتح وحماس ، لا يملك إلاَّ أن يعلن ويحذر من أن أى هزة أرضية مهما كانت خفيفة ـ يمكن أن تأتى على المسجد الأقصى وتجعله أثرا بعد عين .. السبب ما أجرته وتجريه إسرائيل من حفريات يهودية متواصلة فى أكثر من موقع أسفل المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وهى حفريات وصلت إلى قواعد وأساسات المسجد والقبة ، وبدأت من السور الجنوبى وتوغلت حتى وصلت إلى أسفل قبة الصخرة ،

وبلغت مساحتها حوالى نصف المسجد ، فيما وصفه مقرر لجنة القدس بأنه خطوة متقدمة لتقويض المسجد الأقصى ، مع ضمان إقامة الصلوات اليهودية فيه بشكل دائم وتقسيمه مثلما عملت فى المسجد الإبراهيمى فى الخليل ، وكشف عن أن هناك أعمالاً يهودية متواصلة فى هذا السياق ، ضمت افتتاح ملهى ليلى وإقامة الحفلات فى الشوارع المؤدية للأقصى ، فضلا عن شرب اليهود وسائحيهم للخمور بداخل المسجد ، فى الوقت الذى يمنعون المسلمين من الوصول إليه للصلاة إلاَّ فى أضيق الحدود .. وأوضح أحمد أبو حلبية مقرر لجنة القدس ، أن هناك شبكة من الأنفاق المتشعبة يصل عددها إلى (٢٥) نفقا أسفل ساحات المسجد الأقصى ، أضيف إليها نفق جديد تم حفره بجوار حائط البراق ، وأن الخطير فى هذه الأنفاق وصولها إلى القواعد والأساسات ، الأمر الذى أدى إلى حدوث تشققات وانهيارات فى جدران المسجد ، وبات يهدده بانهيار كامل لـدى أى هزة أرضية خفيفة .

واستمرت إسرائيل فى أعمال الحرب ، وهى أعمال حرب بكل المقاييس الدولية ، فأطلقت الحبل على الغارب للاستيطان وإقامة المستوطنات وتهويد المدينة العربية المقدسة ، وبلغ من التبجح الإسرائيلى أن أعلنت حكومة نتن ياهو ـ أثناء زيارة جوزيف بايدن نائب الرئيس الأمريكى لإسرائيل ـ عن إقامة (١٦٠٠) وحدة سكنية يهودية جديدة فى القدس الشرقية العربية ، فى الوقت الذى تمضى فيه إقامة المستوطنات على قدم وساق وفق خطة مدروسة تؤكد وجود مخطط إسرائيلى واسع ، فى مواقع معينة مختارة وفق الخطة التى يؤكدها الإعلان عن (٥٠) ألف وحدة سكنية جديدة تنتظر دورها كمستوطنات تحت الإنشاء فى الأراضى الفلسطينية !

ووسط الخنوع العربى الإسلامى ، والصمت الحكومى ، وصف بان كى-مون : الأمين العام للأمم المتحدة ـ وصف الأعمال الإسرائيلية الاستيطانية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة بأنها غير شرعية (شكرا !!!) ومستفزة (ألف شكر !!!) ويجب أن تنتهى (ألف ألف شكر !!!) ، بينما خرج بيان أعرج عن الرباعية الدولية التى وإن أدانت المخطط الإسرائيلى لبناء الوحدات الاستيطانية الجديدة وأكدت على عدم اعترافها بقرار إسرائيل ضم القدس الشرقية ، إلاَّ أنها سكتت عن أى إشارة إلى أن القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية التى صارت إقامتها من قبيل الأحلام فى الليالى الملاح !

الغريب مع السكوت الحكومى / العربى / الإسلامى ـ أن الذى خرج معترضا بشدة هو الصحفى توماس فريد مان بمقال فى النيويورك تايمز عن «القيادة المخمورة فى القدس» ، وعن إعلان إسرائيل عن إقامة المستوطنات الإسرائيلية الجديدة فى القدس الشرقية أثناء زيارة بايدن نائب الرئيس الأمريكى لإسرائيل ، منوها فى مقاله ـ إلى أن القيادة الإسرائيلية المخمورة ـ فى حاجة إلى من ينبهها ويفيقها من أوهامها ، إذ إنه يعد جنونا محضًا أن تواصل إسرائيل بناء المستوطنات فى الضفة الغربية ، وبناء المساكن فى القدس الشرقية !!

أيها السادة ..

إن ما تجريه إسرائيل هو إعلان حرب مهما كان مكتوما .. شجعها ويشجعها عليه ، العجز العربى / الإسلامى ، والتشرذم الفلسطينى ، والسجال الذى تبعثرت فيه فتح وحماس ، وتدهور العلاقات العربية / العربية ، فى الوقت الذى نشطت وتوسعت فيه بعض العلاقات العربية /

الإسرائيلية ، وحيلولة الحكومات العربية بين شعوبها وبين التعبير عن نفسها ، بل ومضى البعض فى التطبيع والمناداة بزيارة القدس العربية بتأشيرات إسرائيلية ، ولا بأس من إرسال الفرق العربية لإقامة المباريات الرياضية تحت الاحتلال الإسرائيلى . أما الوعود الأمريكية التى صارت فى خبر كان ، فالذنب ليس ذنبها ، فالحديث فى الشأن الأمريكى / الإسرائيلى يطول ، ولكن المسئولية تقع على عاتق من توهموا ويتوهمون أن تحل أمريكا محلهم فى تحرير أوطانهم !!

*****